(في قاع المحيط)

أن الراحة والهدوء مفقودان عند هذا العنصر الدائم الحركة وهو المحيط فأن حركة المد والجزر التي يسهل علينا رؤياها ليست وحدها التي تظهر لنا لأن المحيط له أيضاً أنهاره التي يسميها العلماء بالتيارات بعضها مثلج ويسكن الطبقات العميقة منه وبعضها حار يدور فوق سطحه بينما الأبخرة تتصاعد في الاجواء لتنعقد سحباً ثم تنحل فتعود الينا مطراً يفيض بالخيرات

على أن المحيط لا يبدو لنا ذا فائدة بما هو ظاهر لنا منه فقط فان الذكاء البشري كشف اللثام عن شيء كثير طالما نافع مما يخفيه عن عيوننا في جوفه

وكثير من الاستكشافات تحت سطح البحار دلتنا على دولة حيوانية فسيحة تعيش في طبقاتها السحيقة البعيدة وهي من خير الكنوز التي لا مثيل لها

أن تحت اللجج المالحة غابات لا نهاية لها وجبالا شماء وبراكين لا تقل عن البراكين التي نراها فوق سطح الارض

اما عمق البحار فيختلف باختلاف مواقعها فقد بلغ ٤٦٥٠ متراً في جنوب جزيرة سانت هيلين و ٩٢٠٠ متراً عند رأس دفانغيري بالقطب الشمالي

***

واذا صح أن نقول أن قاع المحيط مقبرة بعيدة الاطراف لما تطويه اللجج فيه من بقايا الناس والأسماك صح لنا أيضا أن نقول أن بطن المحيطات ميدان لقتال عنيف بين الأسماك الهائلة التي تتناحر وتتقاتل فيما بينها ولا تقل في صلابتها وقوتها عن وحوش البر الضارية .

وهناك انواع من الأسماك اشبه في شكلها بالقبعات يتدلى اسفلها فروع عديدة كجدائل الشعور وهي تطفو فوق سطح الماء وتتغذى بصغير الاسماك تارة وردية اللون أو زرقاء او بنفسجية اذا لمسها الانسان أحس اكلانا في كفه يأخذ في النمو حتى يقرب من ألم الأحتراق

ومن منا لم يسمع بالحوت الذي يلتهم دفعة واحدة من الاسماك الصغيرة ما يعد بالألوف. اما سباع البحر والاسماك ذات الخراب فانها تشن على بعضها البعض حروبا نحمد الله على انها تقع في سكون البحر فلا نحسها ولا نشعر بأهوالها

واذا كانت كبار الاسماك لا تعيش الا في قتال مستمر فأن صغارها بالعكس تعيش عيشة هادئة فتنمو وتكثر وهي كثيرة الانتشار في كل مكان فمنها ما يسكن المناطق الحارة قريباً من خط الأستواء أو المناطق الباردة عند القطبين

ومن الطف ما رواه المستكشف الجري، القبطان روس في المحيط المتجمد على مسافة الفي متر من سطحه اسماك صغيرة جداً مختلفة الأشكال والألوان فمنها الاحمر ومنها الاخضر والزيتي حتى انها باجتماعها الى بعضها وبمجاورتها للنباتات المائية تعطي للبحار الوان مياهها التي نراها فأن فوق هذا البحر العظيم شريطا واسعا ذا لون زيتي ضارب الى الاغبرار وهو يسير في خط مستقيم تاركا على جانبيه شريطين عظيمين من ماء كثير الزرقة

وكذلك على سواحل بلاد العرب يشاهد المسافرون خطا جميل الخضرة حتى كأن السفن تجري في خضرة يحيط بها ذرقة اما الغابات فلا عدد لها منتشرة في مساحات فسيحة من مادة صخرية تتجمع حيث تظهر عند سطح البحار وهي التي يسمونها بالشعاب وكثيراً ما سببت اخطاراً فادحة للسفن التي ترتطم بها .

واول من شاهد هذه المراعي الصخرية الواسعة كريستوف كولومب بين جزر الاسور والانتيل

وهذه الشعاب لم تكن جامدة في اول عهدها بل هي سيقان جميلة ذات لون اسمر ضارب الى الخضرة تترك في الايدي مادة لزجة تقرب من الجلد المذاب

وليس المرجان الا نوعا منها

والانسان الذي لا تقعد همته عن كشف اللثام عن وجه الطبيعة وخبرائها وكنوزها لم يفته الجهاد في سبيل الحصول على المرجان الزينة واستخراج الصودا من تلك الصخور المائية لتسميد الارض ولاغراض كثيرة تتطلبها الصناعة

فسبحان الخلاق العظيم